المعاهدة الإسبانية – الفرنسية لترسيم حدود ساحل الصحراء المغربي وخليج غينيا عام ١٩٠٠

هديل فاضل إبراهيم الزبيدي

أ. م. د. احمد ناطق إبراهيم العبيدي

المعاهدة الإسبانية – الفرنسية لترسيم حدود ساحل الصحراء المغربي وخليج غينيا[١] عام ١٩٠٠

هديل فاضل إبراهيم الزبيدي

أ. م. د. احمد ناطق إبراهيم العبيدي

التزمت إسبانيا منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر بسياسة الحفاظ على "**الوضع الراهن في المغرب** "**Statu quo**" [٢]، في المغرب، في مناورة سياسية لمواجهة تداعيات فتح المسألة المغربية، التي قد تؤدي إلى خسارة مناطق نفوذها في المغرب لصالح القوى الأوربية الأخرى، ولاسّيما في ظل سياسة العزلة الدولية، التي لا تدعم توسعها العسكري هناك، وقدراتها الاقتصادية والعسكرية المحدودة، لذا اتبعت إسبانيا أربع طرائق لتحقيق هدفها؛ الأولى هي الاختراق السلمي في المغرب، وتوثيق عرى التعاون الاقتصادي مع المغرب، والثانية إبراز إسبانيا بوصفها وسيطاً نزيهاً بين حكومة السلطان الحسن الأول (١٨٧٣–١٨٩٤)[٣]، وفرنسا لتجنب تفاقم الاعتداءات الفرنسية على الصحراء الشرقية للمغرب، والدعم الفرنسي للتمردات ضد السلطان، التي اشتدت عام ١٨٨٨[٤]، الثالثة هي عقد معاهدات مع القبائل الصحراوية لإعلان الحماية الإسبانية عليها؛ والرابعة التلويح باستخدام الخيار العسكري كما في أزمة مليلية عام ١٨٩٣–١٨٩٤.

يحاول هذا البحث دراسة مدى ازدياد اهتمام إسبانيا بالمغرب بعد خسارتها لمستعمراتها في البحر الكاريبي، والمحيط الهادئ عام ١٨٩٨[٥]، والتداعيات النفسية على المجتمع الإسباني، لذا أرادت الحكومة بعد تلك الخسارة توجيه أنظار الرأي العام صوب الجار القريب، وبذلت قصارى جهدها لتوسيع مناطق نفوذها في المغرب، ومن جانب آخر، مثلت المصالح الإسبانية في المغرب "**ثوب الكرامة**" في استرداد الشرف الإسباني الذي انتهك في تلك الخسارة، ومحاولة إسبانيا ان تكون على قدم المساواة مع القوى الكبرى. فهل تمكنت إسبانيا من الحصول على منطقة نفوذ جنوب المغرب؟ وكيف تركت المجال مفتوح لتوسيع منطقة النفوذ مستقبلاً؟ هل تختبأ خلف موافقتها نوايا أخرى؟

١- اهتمام إسبانيا بالمغرب ١٨٩٨- ١٩٠٠

عصفت أحداث العقد الأخير من القرن التاسع عشر بالمشهد الأوربي، وفرضت كل من إسبانيا، وفرنسا سياستهما في المغرب، والذي شغل حيزاً في سياسة القوى البحرية (بريطانيا، فرنسا وإسبانيا). غير أن هزيمة إيطاليا بمعركة عدوة الحبشة عام ١٨٩٦[٦]، وانشغال بريطانيا في حرب البوير الثانية (١٨٩٩- ١٩٠٢) قد قلل من حماس هذين الخصمين في المغرب[٧]، في حين وجدت فرنسا بالمغرب تعويضاً عن خسارتها في أزمة فاشودة عام ١٨٩٨[٨]، فكان لابد من العمل على وفق استراتيجية لتضمن عدم معارضة خططها في المغرب من الدول المهتمة، وكانت هذه الخطوة الأولى باتجاه إيطاليا، إذ أخذت تمهد الطريق معها[٩].

فيما يتعلق بإسبانيا، فقد أيقظت خسارتها على يد الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٨، الرغبة لتنفيذ توسع إقليمي في المغرب، إذ وضع منظرو حزب المحافظين الإسباني قبل توليهم السلطة، دراسة لوضع إسبانيا من المشهد السياسي للعلاقات الدولية آنذاك، فرسموا مسارًا جديدًا لدور إسبانيا على الساحة الدولية[١٠]، وعليه اعتمد قادة حزب المحافظين، وأولهم فرانسيسكو سيلفيلاFrancisco Silvela (١٨٩٩-١٩٠٠)[١١] رئيس وزراء إسبانيا سياسة ذات شقين، الأول: البحث عن منطقة نائية أطلسية إفريقية لضمان أمن أرخبيل الكناري؛ أما الشق الثاني: فقد تمثل في توظيف المناطق النائية بوصفها وسيلة للتوسع الاقتصادي في جزر الكناري[١٢]، وليكون انتقامًا لهزيمة عام ١٨٩٨، وسببهُ القلق بشأن مصير حامياتهم في المغرب، ومفاجأة المجتمع الأوربي بالعودة إلى مكانتها المرموقة، فلم يكن بمقدور إسبانيا مواجهة التوسع الفرنسي على الأراضي المغربية منفردة[١٣]، وذِيع هذا الرأي في الصحافة الإسبانية، إذ نشرت جريدة مراسلات مدريد (la correspondencia de Madrid) مقالاً تحت عنوان "**التحالفان**"[١٤]، أجرت فيه مقارنة بين بذور التفكك في داخل الحلف الثلاثي، ومتانة الحلف الروسي- الفرنسي[١٥]، والضمانات التي يقدمها لإسبانيا، لذا انعطفت باتجاه الحلف الأخير، وهكذا أخذت بوادر الحلف الثلاثي بانفراط عقده.

ومهما يكن من أمر، فقد أدرك سيلفيلا رئيس وزراء إسبانيا تعقيد التغيير الحاصل في مراكز القوة الأوربية[١٦]، وعند وصوله للحكم بعد وقوع كارثة إسبانيا عام ١٨٩٨، لجأ إلى إنهاء سياسة العزلة، والبحثُ عن ضمان دولي[١٧]، بصيغة وقائية لمواجهة ديناميكية تجرّ إسبانيا لوضع مشابه للوضع البرتغالي آنذاك[١٨]، في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تمثل محوراً أساسياً للمصالح الإسبانية[١٩]، بعد التراجع الذي شهدته العلاقات الإسبانية–البريطانية[٢٠]، لذا اقترح سيلفيلا رئيس وزراء إسبانيا في نيسان عام ١٨٩٩ على فرنسا تحالفاً قارياً على النّحو الآتي "**تود حكومتنا الانضمام للحلف الفرنسيّ– الروسيّ، وكذلك ألمانيا، ليكون ضماناً للحفاظ على السلام وتقييد بريطانيا [ضمان الغلبة البحرية] دون اللجوء إلى صراع مسلح، إذا كان إدراج ألمانيا غير ممكناً، فنحن مستعدين للانضمام بمفردنا مع فرنسا، وروسيا، مع ضمان الدعم العسكري... وسلامة ممتلكاتنا الافريقية**"[٢١]، يبدو أن سيلفيلا سعى إلى عقد تحالف دفاعي سري مع فرنسا، ألمانيا وروسيا، بهدف حفظ أمن الأراضي والمستعمرات الإسبانية في المغرب[٢٢]، ومحاولة دمج المسألة المغربية مع سياسة الدفاع الوطني، معتقداً بإن التوسع الاستعماري إنما هو "**صراع من أجل الوجود**"[٢٣]، وفي حقيقة الأمر فإن اقتراحهُ شهد تأييداً خجولاً من الدول المعنية، وعندما أصبحت خطة التحالف الدفاعي السري قيد التنفيذ تملصت منهُ الدول الآنفة الذكر بين المماطلة والرفض[٢٤].

هكذا نجد أن إسبانيا بذلت قصارى جهدها للتخلص من مخاطر إعادة توزيع مستعمراتها، بعد الضعف الذي عانت منهُ، بحسب قواعد التوسع الاستعماري، على وفق الداروينية السياسية[٢٥]، إذ أُدرجت في إطار الأيديولوجيات المشرعنة للإمبريالية، التي بدأت مع مؤتمر برلين الخاص بأفريقيا ١٨٨٤–١٨٨٥[٢٦]، الذي صاغها اللورد سالزبوري Marquess Salisbury[٢٧] رئيس وزراء بريطانيا (١٨٩٥– ١٩٠٢) في خطابه في الرابع من أيار عام ١٨٩٨ "**أمم العالم المحتضرة**"[٢٨]، على قاعة ألبرت الملكية Albert Hall في لندن، مؤكداً أنّ الحفاظ على مكانة الدولة بوصفها قوة كبرى من خلال زيادة قوتها ما وراء البحار باضطراد، جنباً إلى جنب مع القوى الكبرى، كما تضمن خطابهُ "**نبوءة**" متشائمة عن مستقبل دموي مليء بالتآمر في رؤية قاتمة لعالم الثورة الصناعية ونصه: "**سوف تتعدى الأمم الحية**

تدريجياً على أراضي الأمم المحتضرة، عندها تنشأ أسس الصراع بين الدول المتحضرة، لإدارة التوزيع الاستعماري الجديد، هناك ثلاثة صكوك قانونية جديدة لدى القوى الكبرى: الإنذار؛ ومعاهدة التوزيع؛ ومعاهدة الضمان"[٢٩]، وإن بريطانيا لن تقف محايدة، صحيح أن إسبانيا لم يأتِ ذكرها صراحةً في الخطاب، إلا أنهُ ألمح إليها بين ثناياه، فتناولتهُ صحافة مدريد صراحةً لعدة أيام[٣٠]. ومن بينها مقال نشرتهُ صحيفة La Epoca تحت عنوان **"تحذير أم نصيحة"**[٣١].

أما على الصعيد المغربي فكانت الأوضاع تزداد سوءاً، إذ شهد عام ١٩٠٠، وفاة الوزير القوي با أحمد[٣٢]، وتولي السلطان عبد العزيز السلطة الفعلية[٣٣]، فأخذ التنافس مأخذهُ بين الوزراء للتقرب من السلطان، وتولي المناصب المهمة، إذ كان الوزراء في حكومته في ضمن تيارين، الأول: محافظ[٣٤]، والثاني إصلاحي[٣٥]، سيطر فيها الأخير على مجلس الوزراء المغربي، بسبب رغبة السلطان، ودسائس زعيم التيار الإصلاحي، الذي شجع إجراء إصلاح النظام الضريبي– يسمى بالترتيب[٣٦]– بعد أن نصحهُ البريطانيون، وهو ما قد يساهم في إصلاح وتطوير الجيش، إلا أن مشاريعهُ جوبهت بمعارضة شديدة، لذا بات سقوط بلاده بيد الأوربيين قاب قوسين[٣٧]، وأضاف ذلك ذريعة أخرى للدول الأوربية المهتمة، ولاسّيما (إسبانيا، فرنسا، وبريطانيا) لزيادة تدخلها، إذ حرصت على عدم أخذ المعارضة مسارها الطبيعي وتولي شخصية قوية للسلطة في المغرب.

٢– مباحثات تيوفل ديلكاسيه Theophile Delcasse [٣٨]– ليون كاستليو León y Castillo[٣٩] الخاصة بتقسم مناطق النفوذ بالمغرب شباط– حزيران ١٩٠٠

شعرت فرنسا بانفراج على الصعيد الأوربي، ازدادت شهيتها التوسعية، وبدأت بالتمدد العسكري في جنوب شرق المغرب انطلاقاً من الجزائر، وعند احتلال فرنسا لواحة توات عام ١٩٠٠[٤٠]، تخلت إسبانيا عن كبح جماح فرنسا واستفزازها، وقد تجاهل سيلفيلا رئيس وزراء إسبانيا مناشدات السلطان لإسبانيا والدول الأوربية الموقعة على مذكرة عام ١٨٨٧[٤١].

ومن الواضح أن احتلال فرنسا لواحة توات يُعدّ انتهاكاً لسيادة المغرب، ومع ذلك آثرت إسبانيا السكوت على مضض، فقد أدركت ضعف موقفها العسكري والدبلوماسي، ولاسّيما مع

اتخاذ القوى الأوربية الأخرى موقف المتفرج[٤٢]. وبذلك أخذ ما عرف بالوضع الراهن بالتصدع.

ومن جانب آخر، شن سيلفيلا رئيس وزراء إسبانيا هجوماً دبلوماسياً قاسياً على السلطان، إذ نعته بالضعف الشديد في محاولة منه فيما يبدو لتجبير ذلك الضعف لصالح إسبانيا باحتلال الأراضي الواقعة ما بين جنوب نهر درعة وطرفاية، لتحل محل مستعمراتهم التي فقدوها عام ١٨٩٨[٤٣]، إذ غدت الهدف الاستراتيجي للسياسة الإسبانية لعام ١٩٠٠[٤٤]، وفي السياق ذاته فقد وضع سيلفيلا تقييماً صحيحاً للسياسة الخارجية الإسبانية، عدَّ – في الواقع– مهمة استرجاع مكانة إسبانيا العالمية، والحفاظ على كيانها الإقليمي مهمته الرئيسة؛ لأنه وضع تقييماً صحيحاً للموقف بإزاء تمدد النفوذ الفرنسي في المغرب، فإن حقق نجاحاً في مشروعه فإنه سيحقق غايته بجعل المغرب تحت النفوذ الإسباني، ولتحقيق تلك الغاية كان عليه النظر إلى الدبلوماسية الإسبانية، من خلال انتهاج سياسة خارجية جديدة متمثلة بتعيين إميليو دي اوجيدا Emilio de Ojeda[٤٥] وزيراً مفوضاً للقيام بمهمة استثنائية في طنجة، الذي امتاز باطلاعه الواسع على أوضاع المغرب، وحُسن علاقته بالمفوضية البريطانية في طنجة، وقد زُودَ بتعليمات مشددة لممارسة دور فعال لبلاده في المغرب، بغية الحصول على امتيازات إضافية من السلطان، وتمثلت التعليمات بالاتي[٤٦].

١– حصول إسبانيا على إمداد المياه إلى سبتة عن طريق الشراء، أو التنازل عن الينابيع الموجودة في سييرا بولونيس Sierra Bullone – وهو جيب مهم لتوفير المياه لسبتة وأعلى قمة جبلية فيه هي جبل موسى الذي يشكل امتداداً لجبال الريف المغربي غرب سبتة، ويسمح له موقعه السيطرة على مضيق جبل طارق، لذا سعت إسبانيا للسيطرة عليه، وبخلاف ذلك تفقد سبتة قيمتها.

٢– إنشاء جمارك في سبتة والحسيمة، لتنمية النفوذ الاقتصادي الإسباني.

٣– تأسيس حجر صحي بإشراف إسباني في موغادور، الذي رفضها با أحمد، إلا أن اوجيدا أراد الإستفادة من مرض الأول ليحاور السلطان عبد العزيز مباشرة.

وعلى الرغم من توتر العلاقات بين البلدين حول قضايا الحدود، فضلا عن حظر السلطان حرية الملاحة في الريف، ومحاصرة الجيوب الإسبانية الصغيرة في المغرب،

للتضيق على الإسبان وتقويض الوجود الإسباني في الريف المغربي(٤٧). فإن اوجيدا سلم أوراق اعتماده للسلطان شخصياً في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٠٠، في(٤٨). وطبقاً لتعليمات سيلفيلا فقد ركز اوجيدا على ممارسة دوره في المغرب للحفاظ على هيبة إسبانيا بعد هزيمتها عام ١٨٩٨، والخروج من العزلة الدولية وآثارها، وعدم تهميش إسبانيا في المسألة المغربية. وفي السياق ذاته كانت مطالب اوجيدا من السلطان مسبوقة باستشارة الدول الأوربية ذات التمثيل الدبلوماسي في المغرب، إذ تمكن من الحصول على الدعم البريطاني مستفيداً من علاقته الطيبة بالمفوضية البريطانية، في حين استقبلت إيطاليا مطالبه بسرية، إلا أنهم وعدوا "**تقديم الدعم لرغبة الحكومة الإسبانية**"(٤٩). اما بالنسبة إلى النمسا– المجر فكانت أكثر انفتاحاً وتأييداً من سابقتها(٥٠)، في حين نجد أن ألمانيا وروسيا كانتا على استعداد لتقديم المساعدة اللازمة لإسبانيا، إذ أعلن أوزوالد فون ريشتهوفن Oswald von Richthofen (الثالث والعشرين من تشرين الاول ١٩٠٠– السابع عشر كانون الثاني ١٩٠٦) وزير خارجية ألمانيا قائلاً: "**سنوجه وكلاءنا في طنجة لتقديم المساعدة للوزير المفوض الإسباني، وتحفيز الصداقة المغربية– الإسبانية، لأن الأخيرة من أكثر الدول اهتماماً بمصير المغرب**"(٥١). كما وعدهم قيصر روسيا قائلاً: "**سوف نقدم المساعدة الممكنة للمهمة الاستثنائية الاسبانية**"(٥٢).

فضلاً عن ذلك، حاول سيلفيلا إثارة شكوك بريطانيا بوجود اتفاق سري إسباني– فرنسي، قد يؤدي إلى تحرك عسكري في المغرب؛ لتعيد بريطانيا النظر بسياسة اللامبالاة تجاه المشكلة المغربية، وربما حاول سيلفيلا أن يدق أسفين بين بريطانيا وفرنسا، إذ دافع سيلفيلا عن تحركات الجيش الفرنسي على الحدود الجزائرية، بأنها جاءت بعد موافقة السلطان، وعدم المساس باستقلال المغرب(٥٣)، فاتسم موقفه بالغرابة، ولاسّيما وأن الصحافة في لندن انتقدت التحركات الفرنسية في المغرب، وما تؤول إليه من مخاطر على بريطانيا، وقد نشرت صحيفة**The Morning Post** مقالا جاء فيه: "**آثرت فرنسا سياسة الاختراق السري في المغرب، وسيتوج باحتلال كامل، مما يعرض أمننا، ونفوذنا للخطر في البحر المتوسط... روسيا تسيطر شرق البحر المتوسط، وفرنسا من الغرب، فهل سنضمن حرية تجارتنا؟ وهل تتخلى فرنسا عن حيازة سبتة، وطنجة؟**"(٥٤). وعليه أبرق سالزبوري إلى آرثر نيكولسن Sir

Arthur Nicolson[٥٥] الوزير المفوض البريطاني في طنجة (١٨٩٥– ١٩٠٤) بضرورة الاتصال بزميليه الإسباني، والإيطالي مؤكداً رغبة بريطانيا بالحفاظ على الوضع الراهن هناك، إلا أن سيلفيلا دحض شائعات الاتفاق السري مع فرنسا أمامهم[٥٦].

وثمة حقيقة تاريخية، هي أن التمدد التدريجي للقوات الفرنسية عند الحدود الجزائرية– المغربية، أقلق الوجود الإسباني في الصحراء الغربية. وعليه أعرب سيلفيلا عن رغبته بترسيم الحدود مع مناطق النفوذ الفرنسية بتصريحهِ قائلاً "**أصبح الوضع غير مؤاتٍ أكثر من قبل... كل يوم يمر سيكون الدفاع عن حقنا أصعب، وترسيم الحدود أمرٌ لا مفر منه للتخلص من الوضع الصعب**"[٥٧]، وفي حقيقة الأمر لم تكن هذه المطالبة الأولى إلا أنها الأنجح من سابقتها.

ولابدّ من بيان، أن إسبانيا طالبت بترسيم الحدود منذ آذار عام ١٨٨٦، إذ التقى دبلوماسيو إسبانيا بنظرائهم الفرنسيين في باريس، لتوضيح ما تم الاتفاق عليه بشأن ترسيم الحدود الجنوبية لوادي الذهب، منذُ مؤتمر برلين الخاص بأفريقيا (١٨٨٤– ١٨٨٥) وبالفعل شكلوا لجنة مشتركة من الطرفين[٥٨]، واستمر العمل حتى تشرين الثاني من العام نفسه، إلا أن الأمر لم يخلُ من مصاعب، وأهمها الحفاظ على الوضع الراهن في المناطق المتنازع عليها بينهم[٥٩]، وتضمنت طروحات اللجنتين في الجولة الأولى من المرحلة الأولى، تحديد موقع ما يقصده الإسبان بشبه جزيرة الرأس الأبيض[٦٠]. مع حرص إسبانيا بالحفاظ على الساحل الذي يؤمن الوصول إلى مصائد الأسماك، في حين انصبت محاولات فرنسا على رفع خط حدودها لأعلى مستوى ممكن في المناطق النائية، فاقترحت إسبانيا خطاً يفصل شبه جزيرة الرأس الأبيض، ليؤمنوا امتلاك الجزء الشمالي من خليج ليفرييه Lévrier[٦١]، إلا أن الجانب الفرنسي اقترح تقسيم شبه جزيرة الرأس الأبيض بمحور طولي لتصل دائرة عرض ٢٠' ٢١° شمالاً، ومواصلة الخط الحدودي الداخلي، فيكون الجزء الغربي لإسبانيا، والشرقي لفرنسا مع خليج ليفرييه، إلا أنّ المفاوضين الفرنسيين حاولوا حذف أي إشارة تمتد نحو الشرق، خوفاً من إثارة مسألة الحماية الإسبانية على منطقة إجيل Ijil[٦٢]. وبالطبع رفضته اللجنة الإسبانية، وانتهت من دون اتفاق نهائي على ترسيم الحدود، ولصعوبة المهمة، قرروا قطع محادثاتهم التي افتقرت للجدّ[٦٣]. وتعد تلك المحاولة سابقة لاتفاقية عام ١٩٠٠. وعند

عودتها عام ١٨٩١، بعد سنوات من الانقطاع أكدوا مبدأ "**منع التدخل بيننا [إسبانيا وفرنسا] من قبل قوة أوربية ثالثة**"(٦٤)، واختلفوا في محادثاتهم بشأن حوض نهر موني Muni(٦٥). فضلاً عن رفض المفاوضين الإسبان دمج مسألة غينيا الإسبانية، والمغرب في المفاوضات. وعليه عُلقت، وانتهت الجولة الثانية من المرحلة الأولى، من دون أية نتيجة تذكر(٦٦).

وبحكم تلك الحقائق أصدرت الحكومة الإسبانية تعليماتها إلى ليون كاستليو السفير الإسباني في باريس، أن يركز في مفاوضاتهِ مع ديلكاسيه، على توسيع المناطق النائية على ساحل البحر المتوسط بأوسع نطاق ممكن، وبعد خمسة عشر سنة من الوجود الإسباني في وادي الذهب، استعدت إسبانيا لتقديم تنازلات في غينيا الاستوائية، بهدف الفوز بوادي الذهب، والتوصل إلى اتفاق مشترك لحدود الصحراء الغربية، وغينيا معاً(٦٧)، وأهمية المطالبة بمنطقة إدرار– تمار مستندة في ذلك على معاهدة إجيل لعام ١٨٨٦، الموقعة بين الحكومة الإسبانية وشيوخ قبائل المنطقة المذكورة(٦٨).

وفي حقيقة الأمر، فقد شهدت بوادر عودة المفاوضات الإسبانية– الفرنسية صعوبات بالغة؛ بسبب الخلافات في داخل الحكومة الفرنسية نفسها، ولاسّيما بين أهم شخصيتين في داخل الحكومة الفرنسية، هما وزير الخارجية الفرنسي، وألبرت ديكريس Albert Decraisوزير المستعمرات الفرنسية (١٨٩٩–١٩٠٢)، ولطالما وصف موقُفهُ بالتعنت الشديد، فضلاً عن رفضهُ تقديم أية تنازلات لصالح إسبانيا بالشأن المغربي(٦٩)، إذ وصف تنازلات ديلكاسيه بالسخاء المفرط(٧٠). ومن أجل الخروج بموقف موحد في داخل الحكومة الفرنسية دارت مناقشات مستفيضة بين الطرفين اتسمت بالحدة، إلا أن ديلكاسيه بحكم موقعه واطلاعه على الوضع الدبلوماسي الحرج لفرنسا في كسر الطوق المفروض عليها من ألمانيا، كان عليه أن يخفف من تشدد ديكريس، وضرورة الخروج باتفاق مع إسبانيا، وعدم دفعها للارتماء بأحضان ألمانيا أو بريطانيا فتصبح منافسًا خطيرًا لهم. وفي حقيقة الأمر، فقد دافع إيميل لوبيه Emile Emile Loubet(٧١) رئيس جمهورية فرنسا (١٨٩٩– ١٩٠٦)، وبيير فالديك روسو René Waldeck–Rousseau (الثاني والعشرين من حزيران ١٨٩٩– السابع من حزيران ١٩٠٢) رئيس الوزراء الفرنسي عن رأي ديلكاسيه، وقد حصل الأخير

على دعم الحكومة والأغلبية في البرلمان الفرنسي، ضد ما أثاره ديكريس بدعم من الحزب الاستعماري الفرنسي "**Le parti colonial français**"[٧٢]، وعليه أبدى ديلكاسيه استعداد فرنسا للتنازل عن منطقة وادي الذهب مقابل احتفاظ فرنسا بخليج ليفرييه، وعلى هذا الأساس شرعت الحكومة الفرنسية من جديد بالدخول في مفاوضات مباشرة مع الحكومة الإسبانية، من أجل إعادة تقسيم مناطق النفوذ في أفريقيا عموماً، والمغرب خصوصاً، ومهما يكن من أمر، فقد استُؤنفت المفاوضات في باريس في أواخر شهر شباط ١٩٠٠، ومثل فرنسا وزير خارجيتها ديلكاسيه في حين رأس الوفد الإسباني سفير إسبانيا في باريس ليون كاستليو، على أن يزوده بصلاحيات واسعة، إلا أنه من جانب آخر كان كثيرا ما يتسلم تعليمات جديدة من سيلفيلا[٧٣].

تمكن السفير الإسباني من إثارة مسألة نهر موني بمهارة حين اكتفى بإعادة الطرح القديم بشأن نهر موني، وكأنه طُرح لأول مرة، وإن فرنسا لم تستغلهُ اقتصادياً[٧٤]. وقد حرص ليون كاستليو على إعطاء اهتمام خاص بمناطق الصيد هناك، من أجل السيطرة عليها وعدم استنزافها، والتي إن لم تكن من أولويات إسبانيا، فهي مصدر قلقها في مهمة ترسيم الحدود الجنوبية لوادي الذهب– كان من المقرر ترسيمها بمجرد إعلان الحماية عليها عام ١٨٨٤– وأظهرت فرنسا من جانبها استعداداً للتوصل إلى اتفاق مشترك مع إسبانيا بشأن ترسيم الحدود[٧٥]. لكن من دون إثارة مسألة الحماية الإسبانية على منطقة إجيل، وقد أعلنت ذلك صراحة في المفاوضات[٧٦].

وعلى صعيد ذي صلة، واصلت فيه فرنسا بهدوء قضم الأراضي المغربية، في محاولة للوصول إلى سواحل المحيط الأطلسي، وإصرارها على "**تسوية الحدود الجنوبية للمغرب، على إن تكون الحدود من ساحل إفني حتى بوجودور بأيدي فرنسا**"[٧٧]، وهذا يعني عدم اعتراف فرنسا بمغربية طرفاية، وتجاهل الحدود الشمالية للصحراء الغربية، لأنهم ذكروا في أثناء المفاوضات أن الحدود الشرقية للأراضي المذكورة بالمعاهدة تتبع خط الطول ٢٠ ' ١٢ ° غرباً حتى تقاطعها مع دائرة عرض ٢٦ ' ٨ ° شمالاً، من دون ذكر صريح لعبارة (حتى تقاطعها مع الحدود المغربية)[٧٨]، وهذا بطبيعة الحال يزيد من مخاوف إسبانيا، المتمثلة في "**خطر مُحاصرتها شمالاً، وجنوباً بالأراضي الفرنسية**"[٧٩].

وفي حقيقة الأمر، أن عدم اعتراف فرنسا بمغربية طرفاية، مثّل الخطوة الأولى لانطلاق عملية فرنسية واسعة النطاق على المغرب بحجة عدم استيطانها، وهي ذريعة اختلقتها فرنسا من أجل السيطرة على هذه المنطقة الحيوية، ولاسيّما وأن موقعها الجغرافي مواجه لجزر الكناري الإسبانية، وبالتالي سيطرة أية قوة أوربية عليها يعني تهديد الأمن القومي لتلك الجزر، لكل ذلك أُجبرت إسبانيا صراحة على الاعتراف بمغربية طرفاية، وسعت للحصول على اعتراف فرنسي بامتداد الخط الحدودي حتى الحدود المغربية وليس إلى دائرة عرض٢٦' ٨° شمالاً، من أجل تفويت الفرصة على الفرنسيين بالاستيلاء عليها، وبذلك قبلت بأهون "**الشرين عليها**". وعليه كان على ليون كاستليو السفير الإسباني في باريس تبديد مخاوف حكومته، إذ أبرق إلى وزير الخارجية الإسباني في الثامن عشر من أيار ناقلاً انطباعاته بأن فرنسا ليس في نيتها في "**الوقت الحالي**" احتلال ساحل طرفاية، وإنه توصل إلى اتفاق مبدئي مع ديلكاسيه بشأن وادي الذهب، نص على الآتي[٨٠]:-

١- الاتفاق على ترسيم الحدود الجنوبية للصحراء المغربية، أما الحدود الشمالية للصحراء فقد اتفق على حلٍّ وسط باستخدام عبارة "**استمرار الخط الحدودي على خط طول ١٢° بأتجاه الشمال**"، أي تركها من دون تحديد "**في الوقت الحالي**"[٨١].

٢- التنازل عن منطقة إجيل إلى فرنسا، لكن عليهم الالتزام بعدم فرض أي رسوم تصدير على الملح من المنطقة المذكورة إلى وادي الذهب[٨٢].

وبذلك كانت لرسائل ليون كاستليو صدى إيجابي في الكورتيس Cortes[٨٣] (البرلمان الإسباني)، وعلى هذا الأساس كان توسيع المناطق النائية الأفريقية المواجهة لجزر الكناري أمراً في غاية الأهمية، وتوقع جميع الاحتمالات، أيْ: التدخل الفرنسي، أو البريطاني وإن كان على المدى البعيد[٨٤].

٣- موقف الرأى العام الإسباني من المعاهدة الإسبانية- الفرنسية

انتهت مفاوضات ديلكاسيه- ليون كاستليو في السابع والعشرين من حزيران ١٩٠٠، وتمخضت عن توقيع المعاهدة الإسبانية- الفرنسية الخاصة بترسيم حدود ساحل الصحراء المغربي وخليج غينيا في قاعة كي دورسيه Quai d'Orsay بمقر وزارة الخارجية الفرنسية في باريس[٨٥]. وقد تكونّت المعاهدة من مقدمة وعشرة بنود، نصّ البند الأول على تسوية

خلافاتها بشأن تقسيم وادي الذهب من اللجنة الإسبانية– الفرنسية، وتقسيم شبه جزيرة الرأس الأبيض إلى نصفين، يبدأ الخط من نقطة على الساحل الغربي لشبه الجزيرة ما بين نهاية الرأس البحري، والخليج الغربي ويتجه صوب الشمال، بنقطة التقاء عند دائرة العرض ٢٠' ٢١° شمالاً، حتى التقائه بخط الطول ١٣'٢٠° غرب غرينتش، ومن هذه النقطة يرتفع الخط الحدودي نحو الشمال الغربي متخذاً شكل منحنى ما بين خطي طول ٢٠' ١٣°، و٢٠' ١٤° غربي غرينتش(٨٦)، ومن نقطة ٢٠' ١٣° يتجه الخط الحدودي بشكل مستقيم حتى يتقاطع مع مدار السرطان عند خط الطول ٢٠' ١٢°، و٢٠' ١٤° غرب غرينتش، وتمتد الحدود عبر هذا الخط باتجاه الشمال. أما البند الثاني فيتيح للإسبان مزاولة الصيد، والأنشطة الموازية للصيد في القناة البحرية لشبه جزيرة الرأس الأبيض، وعلى الرغم من أن خليج ليفرييه أصبح في ضمن نفوذ فرنسا، فإنّ البند الثاني سمح للصيادين الإسبان بمزاولة الصيد فيه، في حين نص البند الثامن على تثبيت الحدود التي نصت عليها المعاهدة وبذلك حصلت إسبانيا على الجزء الغربي من شبه جزيرة الرأس الأبيض بما في ذلك الخليج الغربي، والشرقي لفرنسا، كما تعهد الطرفان في البند التاسع باحترام كل منهما لسيادة الآخر(٨٧).

وبما أن إسبانيا خسرت منطقة أَدرار– تمار الغنية بالمعادن لصالح فرنسا(٨٨)، غير أنها حصلت على منطقة وادي الذهب الاستراتيجية المطلة على المحيط الأطلسي، بمساحة تقدر حوالي ١٩٠,٠٠٠ كم٢(٨٩)، أي ما يعادل نسبة ٣٧% من مساحة إسبانيا، وبما أنها لم تقدم الحماية الكافية لجزر الكناري الإسبانية، إذ تجاهل الجانبان منطقة طرفاية واستبعدوها من المعاهدة، إلا أن المعاهدة نفسها قدمت إمكانية التوسع مستقبلاً في الحدود الشمالية للصحراء بتركها غير مرسَّمة حدودياً مع المغرب وفرنسا، من أجل ضّم المزيد من الأراضي المغربيّة إلى مناطق نفوذها وصولاً إلى منطقة طرفاية المقابلة إلى جزر الكناري، وبما أن حصة إسبانيا من المعاهدة أراضي صحراوية، غير أنها مطلة على ساحل المحيط الأطلسي، وهذا يُؤمنِّ لها مناطق صيد مهمة حرصت إسبانيا على حيازتها، وتعزيز المحطة التجارية الإسبانية المتلكئة في وادي الذهب(٩٠)، وبذلك لم تضمن إسبانيا موطئ قدم جنوب المغرب فقط، وإنما منطقة نفوذ إسبانية جنوب المغرب قابلة للتوسع، فضلاً عن منطقة النفوذ الإسبانية الشمالية(٩١)، التي عولت عليها إسبانيا على وفق تصريح أحد نواب الكورتيس

قائلاً: "**تكمن أهمية وادي الذهب لدولتنا منطقة توسع عسكري ودبلوماسي، والأهم هو وجودنا جنوب المغرب بالقرب من جزر الكناري**"(٩٢)، ومن هنا بدأ تاريخ وادي الذهب السياسي(٩٣).

أما على صعيد الرأي العام الإسباني، فعلى الرغم من امتعاض الرأي العام في البلدين من المعاهدة، ولاسيّما المعارضة الإسبانية التي أعربت عن استهجانها للمعاهدة في مقال نشرتهُ في صحيفتها الرسمية الليبرالي El Liberal ومما جاء فيه "**معاهدة كاستليو– ديلكاسيه ليست مدعاة للفخر، إلا إذا كانت تتضمن بنود سرية فيها من المزايا لإسبانيا، وإلا فإنها مجرد طُعم من دون فائدة هذه حقيقة المعاهدة التي صورتها الحكومة على أنها انتصار دبلوماسي مهم**"(٩٤). باتت المعارضة الإسبانية بانتقادها اللاذع لمعاهدة عام ١٩٠٠، إذ ما انفكت مطالباتها بالحصول على أراضي ذات أهمية أكبر من خلال صحفها الرسمية –والحق– لقد مثلت المعاهدة خطوة مهمة في السياسة الخارجية الإسبانية؛ لعقد اتفاق رسمي بشأن وادي الذهب وغينيا أولاً، من دون التوغل في المناطق الداخلية الصحراوية، وتقارب حقيقي مع فرنسا، ومع الحلف الروسي– الفرنسي ثانياً، وهذا يعني خروجها رسمياً من العزلة الدولية(٩٥). وهذا ما أيدته صحيفة الوقت La Epoca في مقالٍ نشرتهُ بعنوان: "**معاهدة ترسيم الحدود مع فرنسا**" أعربت فيه عن ارتياحها لإنهاء الخلافات الحدودية مع فرنسا، كما حاولت الصحيفة في المقال نفسه تسليط الضوء على أهمية المكتسبات التي حصلت عليها إسبانيا، بالقول: "**دون أن نخالف الحقائق بإمكاننا تهنئة أنفسنا بهذا الحدث فإن ما حصلنا عليه كان جيداً، وإذا ما تذكرنا وجودنا الفعلي في المناطق المتنازع عليها، يُعد ما حصلنا عليه ضرب من الخيال**"(٩٦). وفي مقال آخر رددت الصحيفة نفسها بتفاؤل: "**تكمن ميزة معاهدة كاستليو– ديلكاسيه، بضمانها أراضي بمواجهة جزر الكناري، تضمن لنا انتعاش مصائد الأسماك، وحرية الملاحة، والأهم من كل ذلك الحصول على قاعدة دفاعية ضد أي هجوم من الدول البحرية المتطلعة نحو المغرب...**"(٩٧).

أما فيما يتعلق بفرنسا فالمعاهدة تعني إزالة العقبات لتوحيد ممتلكاتها غرب أفريقيا مع المغرب، وهكذا وضع حجر الأساس للمحمية الإسبانية الجنوبية، وهي جزء لما أطلق عليه

فيما بعد بالصحراء الإسبانية – المغربية حالياً– وفي طريقها لترسيم حدودها الشمالية في اتفاقيات لاحقة.

ومن الجدير بالملاحظة، أنّ بريطانيا أظهرت لامبالاة بشأن المعاهدة، إلا السير هنري دروموند تشارلز وولف Sir Henry Drummond Charles Wolff (١٨٩٢–١٩٠٠) السفير البريطاني في مدريد[٩٨]، حرص على معرفة تفاصيل المعاهدة، والتأكد من عدم مساس مصالح بريطانيا في المغرب، والبقاء على إسبانيا جارة لمضيق جبل طارق، فطمأنه المركيز أغيلار "Marquess of Aguilar" وزير الخارجية الإسباني (نيسان١٩٠٠– آذار ١٩٠١) بأنها اقتصرت على ترسيم حدود الأراضي الإسبانية في وادي الذهب وخليج غينيا[٩٩]، لذا أبدت بريطانيا عدم اكتراثها بالمعاهدة، على وفق تصريح سفيرهم في مدريد "**غير ذات أهمية نسبياً لكن مسألة المغرب ستبرز قريباً، وستعم الاضطرابات في البحر المتوسط، ولا يقتصر ذلك على المضائق، وإن ما ستحصل عليه إسبانيا سيكون مهماً**"[١٠٠]، ويبدو أنها غير مطمئنة، أخذت بعين الاعتبار الهجوم الذي شنته المعارضة الإسبانية، بعد نشر بنود المعاهدة في الصحف الرسمية للبلدين الموقعين في الثلاثين من آذار عام ١٩٠١[١٠١].

الخاتمة

يتضح مما سبق أن السياسة الخارجية الإسبانية في حالة بحث دائم عن ضمان لسلامة المستعمرات الإسبانية المهددة بدورة إعادة التوزيع الاستعماري، وتشكيل هيكلة دفاعية لجزر الكناري، والخروج من العزلة الدولية بدخولها التحالف الفرنسيّ– الروسيّ، وهذا يعني دخولها في أوسع تحالف قاري مناهض لبريطانيا، ولاسيّما أن فرنسا تحاول جذب ألمانيا إلى طرفها.

كما ان إسبانيا قد حصلت بموجب المعاهدة الإسبانية– الفرنسية لترسيم حدود جنوب المغرب عام ١٩٠٠، والتي تعد اول عملية تقسيم للمغرب على ارض الواقع، على منطقة نفوذ جنوب

المغرب قابلة للتوسع مستقبلاً، –والحق يقال– انها تعد بواكير ظهور بوادر المطالبة بفصل الصحراء المغربية عن المغرب.

(١) من الجدير بالذكر أن المقصود هنا بغينيا الإسبانية، وتسمى حالياً بغينيا الاستوائية، التي احتلتها عام ١٧٨٨ بموجب معاهدة وقعتها مع البرتغال بعد أن كانت تحت سيطرتها، وقد اشتكى سيلفيلا للحكومة الفرنسية بشأن **"الاعتداءات المستمرة على حقوقنا في غينيا"**، فاقترحت الحكومة الفرنسية دراستها، لذ اختلطت مع قضية الصحراء لمناقشتها، وثبتت حدودها في هذه الاتفاقية، بإرادة فرنسية، إلا إننا سوف نخوض بترسيم حدود المغرب فقط، على وفق اختصاص دراستنا. للمزيد عن هذه القضية أنظر: طوماس غارثيا فيغيراس، سانتا كروث دي ماربيكينيا إيفيني والصحراء السياسات الإسبانية في الساحل الغربي لإفريقيا، تر محمد سبى، (الرباط، ٢٠٢٠)، ص١٥٢؛

Víctor Morales Lezcano, León y Castillo Embajador 1887-1918, (Telde, 1998), P. 90.

(٢) **الوضع الراهن Statu quo**: مصطلح سياسي لاتيني، وهو سياسة تبناها كانوفاس، وقصد بها احترام استقلال المغرب، ووحدة أراضيه، من الدول الأوربية، المهتمة بالمغرب، بدأت في منتصف عام ١٨٧٦؛ بسبب زيادة المطالب الإسبانية لتحديد موقع سانتا كروز لامار بيكينيا، غير أن أي تحرك إسباني يثير ريبة فرنسا، وبريطانيا، ولاسيما مع محاولة بريطانيا لترسيخ نفوذ السلطان؛ لزيادة مصالحهم هناك، بالتزامن مع سياسة كانوفاس للحفاظ على الوضع الراهن في المغرب، فتلاقت الديناميكيتان الإسبانية والبريطانية، وتم الإعلان عنها في مؤتمر مدريد عام ١٨٨٠.

José Manuel Morales Tamaral, Alemania en la política... OP. Cit., PP. 87-8.

(٣) **الحسن الأول:** سلطان المغرب، وهو ابن السلطان محمد الرابع علوي النسب، ولد في فاس عام ١٨٣٦، تولى حكم المغرب بعد وفاة والده علم ١٨٧٣، وأولى اهتماماً خاصاً بالإصلاحات، ولاسيما الجيش، وحاول وضع حد للتدخل الأجنبي، وقيامه بحملات عسكرية لفرض سيطرة السلطان على البلاد، وعدَّ آخر السلاطين الأقوياء الذين حكموا المغرب، توفي في مراكش عام ١٨٩٤. للمزيد من التفاصيل انظر: إبراهيم خلف العبيدي، دراسات في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، (بغداد، ٢٠٠١)، ص ص٦٨-٧٣؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج ٣، (الدار البيضاء، ١٩٩٤)، ص ص ٢٥٦- ٢٨٧.

(٤) دعمت فرنسا تمردات القبائل ضد السلطان الحسن الأول (١٨٧٣- ١٨٩٤)، ومنها تمرد قبائل السوس، إذ ورد في تقرير القنصلية الإسبانية في موغادور ما يأتي **"إذا السلطان لا يرسل فوراً جيشاً قوياً، ويلقي القبض على المتمردين [في السوس] من الممكن فصل السوس عن الحكومة المغربية، وسيحكمها الفرنسيون ويحيطون المغرب بحزام حديدي"**، واستمر الحال بين عامي ١٨٨٧و ١٨٨٨، حتى سادت فكرة هناك إما خطاب المخزن، وإما الاستقلال عن طريق الفرنسيين، إلا أن الفكرة الأخيرة قد أجهضت. للمزيد عن تمرد سوس ووادي النون، للمزيد عن هذه القضية أنظر: لطيفة شراس والحسن الخطير، "قضية أفنى – ايت بعمران من معاهدة تطوان إلى معاهدة أمزدوغ"، في كتاب سيدي إفنى آيت باعمران الذاكرة ورهانات المستقبل، مجموعة باحثين، مطبعة الاقتصاد، اكادير، ٢٠١٩، ص ٥١؛ طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص ١٣٥

Antonio Fierro to Ministro plenipotenciario de España en Marruecos, Mogador, 11 ؛ Archivo General de la Administración Pública del Estado, sección África, Octubre 1886, Marruecos, caja 61, exp. 3, Quoted in Jesús Maria Martínez Milán, España y Francia En el sur de Marruecos Intereses, delimitación de fronteras y contencioso territorial, 1900-1912 , Asia y África, No.1, (El Colegio de México, 2015) PP. 120-121- 122.

(٥) بدأت إسبانيا بخسارة جزء من مستعمراتها في أمريكا اللاتينية، بعد أن نالت قسم من تلك المستعمرات استقلالها خلال حروب استقلال أمريكا اللاتينية (١٨١٤ -١٨٢٤)، وتوالت بعدها الثورات والحروب في كوبا، لاسيما بعد حرب العشر سنوات في كوبا (١٨٦٨- ١٨٧٨)، وبذلك توالت خسارة إسبانيا لمستعمراتها، إذ خسرت كوبا، بورتوريكو، والفلبين، أخر مستعمراتها عام ١٨٩٨، في حروب استقلال المستعمرات الإسبانية في أمريكا. للمزيد أنظر: محمد احميان، جهود إسبانيا لتوسيع نفوذها التجاري في الساحل المتوسطي للمغرب خلال القرن ١٩م، مجلة

المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد ١٢، (الجزائر،٢٠٠٨)، ص ١٢؛

The Encyclopedia of the Spanish–American and Philippine–American Wars, (California, 1911), PP. 163–328.

(٦) **معركة عدوة الحبشة:** دارت بين القوات الإيطالية، والحبشة عام ١٨٩٦، في محاولة لإيطاليا بغزو أثيوبيا والتحكم بالبحر الأحمر، بدعم بريطاني، بهدف إضعاف مكانة فرنسا – بسبب المنافسة الفرنسية- البريطانية للسيطرة على وادي النيل -هناك، فجاء رد الفعل الفرنسي بدعم الأثيوبيين واستقلالهم، وخسارة إيطاليا للمزيد عن هذه القضية أنظر: فرغلي علي تسن هريدي، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، (الإسكندرية، ٢٠٠٨)، ص ١٤٤، ١٦٠؛

Francisco Manuel Pastor Garrigues, Lost in colonialism Francisco Silvela y de le Vielleuze y la cuestión marroquí (1896–1900), Illes i Imperis, No. 20, (Universidad Pompeu Fabra), 2018, P. 189.

(٧)**حرب البوير الثانية (١٨٩٩- ١٩٠٢):** وقعت بين بريطانيا وجمهوريتي البوير، شاركت فيها عدّة قوات من المستعمرات البريطانية، وكشفت عن عجزها العسكري. للمزيد عن هذه القضية أنظر: طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص ١٥٦؛ فرغلي علي تسن هريدي، المصدر السابق، ص ٢٢٦، ٢٢٨؛

Encyclopedia of the Age of Imperialism, 1800–1914, Vols. 1, 2, (United States of America, 2008), P. 90؛ Eugene N. Anderson, The First Moroccan Crisis 1904–1906, (London, 1930), P. 5.

(٨) **أزمة فاشودة:** اندلعت في تموز عام ١٨٩٨، بسبب التنافس البريطاني – الفرنسي، على أعالي نهر النيل، انتهت بالتسوية الدبلوماسية، وتنازل فرنسا عنها عام ١٨٩٩. طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص ١٥٦؛

Encyclopedia of the Age of Imperialism, 1800–1914, Vols. 1, 2, PP. 83, 239.

(٩) بدأ التقارب الفرنسي- الإيطالي بعقد تسوية تجارية بينهما عام ١٨٩٨، تبعها مفاوضات سرية بين البلدين حول المغرب، وكانت إسبانيا على علم بها. للمزيد عن هذه القضية أنظر: محمد خير فارس، المسألة المغربية ١٩٠٠-١٩١٢، ط ٢، (بيروت، ١٩٨٠)، ص ١٧٣-١٧٤؛

Cristóbal Robles Muñoz, La política exterior de España: Política mediterránea, occidental y de paz (1899–1905), Vol. 2, (Madrid, 2006), PP.121, 143؛ Francisco Manuel Pastor Garrigues, España y la apertura de la cuestión marroquí (1897–1904), tesis doctoral, Universitat de València, 2006, P.911.

(١٠) وضح منظرو حزب المحافظين الإسباني في دراستهم، أن التقاء مصالح البلدان على سواحل شبه الجزيرة الإيبيرية، فضلاً عن مخاوف بريطانيا بشأن أمن جبل طارق، أو إعادة تسليح الجيوب الإسبانية القريبة من الحسيمة- تقع شرق سبتة- وتنافس القوى العالمية الرئيسة الثلاث: الولايات المتحدة الأمريكية، وهي في حالة حرب مع إسبانيا، وألمانيا التي تحرص على ما تجنيه من مكاسب من أزمة إسبانيا عام ١٨٩٨، بريطانيا التي تسعى للحفاظ على الوضع الراهن بأي ثمن، دون الاصطدام بأي من هاتين القوتين، أما بشأن فرنسا فهي تحرص على عدم وقوع جزر الكناري بيد الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأن بإمكانها قطع الطريق من وهران إلى الدار البيضاء، فسارعت فرنسا بعقد اتفاقية السلام عام ١٨٩٨ بين إسبانيا، والولايات المتحدة الأمريكية لكي تسد الطريق على الأخيرة التي كانت تتطلع للاستحواذ على جزر الكناري.

Huguet, “La política exterior de España en el siglo XIX”, in the Montserrat Hacia un mundo sin fronteras la inserción de España en la Unión Europea aspectos económicos y

José María Jover Zamora, España en la política ؛culturales, (Madrid, 2009), PP. 8-10 Antonio Niño, "política de alianzas y ؛internacional: siglos XVIII-XX, (Madrid, 1999), P. 78 compromisos coloniales para la "regeneración" internacional de España, 1898-1914", in the La política exterior de España en el siglo XX, Javier Tusell, Juan Avilés and Rosa Pardo, (Madrid, 2000), P. 36.

(١١) **فرانسيسكو سيلفيلا Francisco Silvela:** سياسي إسباني، ولد في مدريد عام ١٨٤٣، عمل محامياً، وصحفياً، وتقلد عدّة مناصب سياسية، ومنها وزير داخلية، وزير العدل في حكومة كانوفاس، ورئيس الوزراء للمرة الاولى (١٨٩٩- ١٩٠٠)، والثانية (١٩٠٢ -١٩٠٣)، وهو مؤسس النزعة الإصلاحية في التيار المحافظ الإسباني، وعندما أصبح رئيس وزراء، عمل على إحداث تغيير على الصعيد الداخلي، والخارجي، إلا أنه لم ينجح في تنفيذ خططه بالكامل؛ لأنه لم يكن مصحوباً بالإجماع، توفي في مدريد عام ١٩٠٥.

Óscar Javier Sánchez Sanz, Diplomacia y política exterior España 1890-1914, tesis doctoral, Facultad de Geografía e Historia, Universidad Complutense de Madrid, 2004, P. 523؛ Encyclopaedia Britannica, Vol. 23, (New York, 1911), PP. 564 -5.

(١٢) Montserrat Huguet, OP. Cit., P. 8 ؛José María Jover Zamora, España en la política Cit., PP. Francisco Manuel Pastor Garrigues, Lost in colonialism …OP.؛…OP. Cit., P. 78 183.

(١٣) Cit., P. 197. Francisco Manuel Pastor Garrigues, Lost in colonialism …OP.

(١٤) Paul Lefaivre to Delcassé, Madrid, 26 Septembre 1901, Documents Diplomatiques 1871-1914, edited by Ministère des Affaires Etrangères, S. 2, Vol. 1, Doc. Français No.413, P. 494؛(D.D.F.) وسنرمز للوثائق (S.) وسنرمز للسلسلة

نقلاً عن محمد خير فارس، المصدر السابق، ص ١٨٠.

(١٥) **الحلف الروسي- الفرنسي:** عُقد بين الدولتين في آب ١٨٩٢، كائتلاف عسكري محتمل موجه ضد ألمانيا ثم أخذ بالتطور. للمزيد أنظر: آ. ج. ب. تايلور، الصراع على سيادة أوروبا ١٨٤٨- ١٩١٨، تر فاضل جتكر، (بيروت، ٢٠٠٩)، ص ص ٤٦٢- ٤٦٣.

(١٦) اعتقد سيلفيلا إن إسبانيا بحاجة إلى إبراز إمكانياتها الاقتصادية والعسكرية، منوهاً عن ذلك في خطابه أمام البرلمان عام ١٨٩٦ إلى **"الحاجة الجلية لإسبانيا مستقبلاً... كسر العزلة ومبدأ الحياد المطلق... بعد تلك الهزائم، وزيادة الاهتمام في أفريقيا ...ويجب أن لا نبقى معزولين وسط تنافس الدول الأخرى... نريد سياسة التحالف للدفاع عما نمتلكه".**

Diario de las Sesiones de Cortes Congreso de los Diputados, No. 49, Sesión del sábado 10 Julio 1896, PP. 1219, 1220. (D. S. C. C. D.) وسنرمز

(١٧) Francisco Manuel Pastor Garrigues, Lost in colonialism …OP. ؛Óscar Cit., P. 189 Cit., P. 458. Javier Sánchez Sanz, OP.

(١٨) توصلت بريطانيا وألمانيا في الثلاثين من آب عام ١٨٩٨ إلى اتفاق، يتضمن تخلي الألمان عن البوير مقابل موافقة بريطانيا على تقاسم المستعمرات البرتغالية، في وقت كانت تعاني فيه البرتغال من صعوبات مالية خطيرة، ووجهت بريطانيا بذلك إنذار إلى برشلونة. للمزيد عن هذه القضية أنظر آ. ج. ب. تايلور، المصدر السابق، ص ٥١٦- ٥١٧؛ Cit., P. 557. OP. Javier Sánchez Sanz,

(١٩) Francisco Manuel Pastor Garrigues, Lost in colonialism …OP. Cit., PP. 193- 194.

(٢٠) تراجعت العلاقات الإسبانية – البريطانية لأسباب عدّة، ومنها ازدياد تهريب الأسلحة بين إسبانيا وسلطات جبل طارق، ولاسّيما في أثناء حرب مليلية عام ١٨٩٣، وكادت أن تتحول إلى أزمة دبلوماسية بينهما، بسبب شحنة الأسلحة المهربة بمراكب تحمل العلم البريطاني نحو ساحل الريف، كما ولّد الدعم البريطاني لألمانيا عام ١٨٩٦، دافعاً لكانوفاس لاقتراح تحالف مع بريطانيا، فلم يجد ترحيباً من اللورد سالزبوري Salisbury (١٨٩٥- ١٩٠٢) رئيس وزراء بريطانيا، وفي عام ١٨٩٨ اتجهت أصابع الاتهام الإسبانية إلى بريطانيا حول شحنة المتفجرات القادمة من ليفربول نحو جبل طارق، مما دفع سلطات مليلية تشديد مراقبتهم، كما ساد اعتقاد في الأوساط الإسبانية، مفاده أن البريطانيين يعملون على دعم انتفاضة أهالي الريف بتزويدهم الأسلحة، فضلاً عن الموقف الذي أبدته الأخيرة إزاء إسبانيا في حربها مع الولايات المتحدة الأمريكية، وبالرغم من مبادرة إسبانيا لإنهاء النزاع حول تحصين Sierra Carbonera – سلسلة جبلية صغيرة تقع على مشارف جبل طارق، أقامت فيها إسبانيا تحصينات، تسببت بوقوع أزمة بين الدولتين عام ١٨٩٩- في محاولة من سيلفيلا لتحسين العلاقات الإسبانية – البريطانية، إلا أن الأمر كان نسبياً؛ لأنَّ إسبانيا رفضت التنازل عن الجزيرة الخضراء لصالح بريطانيا، كما رفضت معاهدة الضمان البريطاني التي تجبر إسبانيا على أن تدور في فلك بريطانيا، وتخليهم عن التحصينات، بينما تجاهلت بريطانيا سبتة من الأراضي التي تدافع عنها من جهة، ومن جهة أخرى فإن الرأي العام الإسباني لم ينسى لبريطانيا مواقفها، ولاسّيما بعد أن تسربت أخبار المفاوضات السرية البريطانية- الألمانية لتوزيع المستعمرات البرتغالية، تماشياً وخطاب سالزبوري **"أمم العالم المحتضرة"** المذكور آنفاً. محمد إحميان، الريف وحوض البحر الأبيض المتوسط ١٨٣٠-١٩٢٦، (الرباط- ٢٠٢١)، ص ٤٩٨، ٤٩٩؛ طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص ١٥٧؛

Francisco Manuel Pastor Garrigues, Lost in colonialism …OP. Cit., PP,189, 194-195- 196؛ Víctor Morales Lezcano, La embajada de España en París durante las misiones diplomáticas de Fernando León y Castillo la rota de Annual, Historia contemporánea, No. 15, (Universidad País Vasco, 1996), P. 82 ؛ Eugene N. Anderson, OP. Cit., P.35؛ José Luis Neila ؛Jerónimo Bécker, Historia de Marruecos, (Madrid, 1915), P. 415 Hernández, Regeneracionismo y política exterior en el reinado de Alfonso XIII 1902- 1931, (Madrid, 2002), PP. 61- 62؛ David Rubio Márquez, El regeneracionismo en la Armada la política naval Española y los proyectos de creación de una nueva escuadra 1899-1909, (Madrid, 2016), P. 44.

(٢١) Francisco Manuel Pastor Garrigues, Lost in colonialism …OP. Cit., P. 195.

(٢٢) أكد سيلفيلا لسفراء ألمانيا وفرنسا وروسيا في مدريد في أوائل عام ١٨٩٩، بأن نية بريطانيا كانت احتلال فيغو- مدينة تقع شمال غرب إسبانيا- لكن الأخيرة نفت هذا الخبر.

Die Grosse Politik der Europäischen Kabi nette 1871-1914, XVII, Doc. No. 4205, Quoted in Eugene N. Anderson, OP.Cit., P. 35؛ Bulow to Radowitz, 27 April 1899, Doc. No. 4206, Quoted in Ibid, P. 35.

(٢٣) Francisco Manuel Pastor Garrigues, Lost in colonialism …OP. Cit., P. 192؛ Óscar Eugene N. Anderson, OP. Cit., P. 35.؛Javier Sánchez Sanz, OP. Cit., P. 512

(٢٤) Francisco Manuel Pastor Garrigues, Lost in colonialism …OP. Cit., PP. 188, 196.

(٢٥) **الداروينية السياسية الدولية:** تعود الى نظرية داروين، الذي خلص من دراسة التطور البايلوجي إلى علم الأجناس، وحتمية الصراع من أجل البقاء والتقدم، وقد انتقلت هذه النظرية إلى نطاق العلوم الاجتماعية وأثرت تأثيراً كبيراً في

تكوين الأيديولوجيات العنصرية، والتي عدت إحدى الدعائم الفكرية للحركة الاستعمارية الحديثة عموماً.
José Ma. Jover Zamora, 1898 Teoría y práctica OP. Cit., P. 17.

(٢٦) عقد مؤتمر برلين بين عامي ١٨٨٤-١٨٨٥، وبمشاركة أربع عشرة دولة، ومن بينها إسبانيا، البرتغال، فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، النمسا- المجر والولايات المتحدة الأمريكية، دون حضور أفريقي، هدف لتنظيم الاستعمار والتجارة في أفريقيا، وتزامن مع بروز ألمانيا قوة استعمارية.
Stig Förster and ؛9-Hertslet, The map of Africa by treaty, Vol. 2, (London, 1909), PP. 468 Wolfgang Justin Mommsen and Ronald Edward Robinson, Bismarck Europe and Africa the Berlin Africa Conference 1884–1885 and the Onset of Partition, (London, 1988), PP. 1–2.

(٢٧) **سالزبوري Marquess of Salisbury**: سياسي محافظ ورجل دولة بريطاني، ولد في هاتفيلد في بريطانيا عام ١٨٣٠، درس في أكسفورد عام ١٨٥٠، كُلف بتشكيل حكومته لأربع مرات، الأولى في عام (١٨٨٥)؛ وفي الثانية عام (١٨٨٦- ١٨٩٢) وقد أشرك بريطانيا في اتفاقيات البحر المتوسط؛ والثالثة في عام (١٨٩٥- ١٩٠٢) حقق فيها انتصاره في فاشودة؛ أما الرابعة والأخيرة فكانت في عام ١٩٠٠، شغل فيها منصب رئيس الوزراء فقط، وبعد تمكنه من إنهاء حرب البوير قدم استقالته في عام ١٩٠٢، فأطلق اسمه على عاصمة روديسيا حتى الاستقلال، وتوفي في هاتفيلد في بريطانيا عام ١٩٠٣.
Encyclopaedia Britannica, Vol. 24, (New york, 1911), PP. 72-6.

(٢٨) يبدو أن مصطلح الأمم المحتضرة، أطلق على غرار مصطلح **"رجل أوربا المريض"** الذي أطلقهُ القيصر الروسي نيكولا الأول (١٨٢٥- ١٨٥٥) في عام ١٨٤٤، ثم عُمم هذا المصطلح على إسبانيا بطريقة أكثر قسوة من سابقتها، ولاسّيما أن الرجل المريض قد يُرجى شفاؤه، وهو بعكس المحتضر الذي لا أمل من شفائه. عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج ٢، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص ١٢٣؛
Rebecca Fraser, The ؛José Ma. Jover Zamora, 1898 Teoría y práctica...OP. Cit., P. 17 story of Britain from the Romans to the present, (New York, 2005), P. 615.

(٢٩) **معاهدة الضمان:** هو أن تضمن قوةٌ كبرى الدفاع عن أخرى ضعيفة، وضمان سلامتها من أي عدوان خارجي إلى أجل غير مسمى، مع عدم تأثرها بعملية إعادة توزيع المستعمرات، لكن ممكن دمج القوة الصغيرة في مجال المصالح الاقتصادية والاستراتيجية لشريكها القوي، وتخلي الدولة الضعيفة عن سياستها الخارجية المستقلة، كما يحق للدولة القوية التصرف بالأراضي الإقليمية المضمونة. للمزيد عن بنود المعاهدة أنظر:
Rosario ؛José Ma. Jover Zamora, 1898 Teoría y práctica...OP. Cit., PP. 17, 21–22, 51 de la Torre del Río, La prensa madrileña y el discurso de Lord Salisbury sobre las naciones moribundas Londres, Albert Hall, 4 Mayo 1898, Cuadernos de Historia Moderna y Contemporánea, No. 6, (Univ. Complutense, 1985), P. 174.

(٣٠) Rosario de la Torre del Río, La prensa madrileña...OP. Cit., P. 174.

(٣١) La Epoca, 5 Mayo 1898, Quoted in Ibid, P. 174.

(٣٢) **با أحمد**: سياسي مغربي، اسمه أحمد بن موسى البخاري، ويلقب باحماد، ولد في مراكش عام ١٨٤١، عمل حاجباً للسلطان الحسن الأول (١٨٧٩-١٨٩٤)، ومسؤولا عن تربية عبد العزيز بن السلطان الحسن الأول، وعند وفاة السلطان، أراد با أحمد ضمان البيعة الى عبد العزيز، لذا أبلغ با حماد قادة الجيش، وزعماء القبائل بأن السلطان الحسن الأول ما يزال مريضاً، وهو يأمرهم ببيعة نجله الأصغر عبد العزيز، ونصب نفسه وزير أول او ما يسمى بالصدر الأعظم -منصب ترجع اليه جميع أمور الدولة بأمر السلطان- وانفرد بالسلطة الحقيقية حتى وفاته في مراكش في الثالث

عشر من أيار ١٩٠٠. محمد خير فارس، المصدر السابق، ص ١٠٤؛ إبراهيم حركات، المصدر السابق، ص٢٨٨؛ معلمة المغرب، ج ١، (الرباط، ١٩٨٩)، ص ص ١٧٥- ١٧٦.

(٣٣) اتسم السلطان عبد العزيز بقلة الخبرة، وانعدام الحنكة السياسية، وانشغاله بوسائل اللهو، متأثراً بما قدمه بعض المغامرين الأجانب، ولاسّيما هاري ماك لين Harry Maclean (١٨٤٨-١٩٢٠) –مدرب الجيش السلطاني عام ١٨٧٧- من وسائل الحداثة – دراجات، سيارات، وآلات تصوير ...الخ- وكانت تلك الوسائل مكدسة في قصرهِ، وباهظة الثمن، دون أن يساوم على ثمنها، مما استنفد موارد الخزينة، حتى أصبح السلطان وسط بلاد ثائرة، وخزينة خاوية. حسن صبحي، التنافس الاستعماري... المصدر السابق، ١٥٢-١٥٣، ١٥٦؛ أسيل عبد الستار حاجم، أزمة مراكش الأولى ١٩٠٥-١٩٠٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص ١٣.

(٣٤) **التيار المحافظ:** على رأس هذا التيار الوزير الأول الحاج المختار، ووزير المالية محمد التازي، مفضلين الاحتفاظ بالإرث القديم، ونصحوا السلطان بشغل وقته بالكتب الأدبية والتاريخية المليئة بمآثر الأجداد، لكن ما أن بدأ السلطان بذلك، حتى دب الملل إلى نفسه. لويس أرنو، زمن المحلات السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين ١٨٦٠ و١٩١٢، تر محمد ناجي بن عمر، (الدار البيضاء، ٢٠٠٢)، ص١٠٤، ١٠٦.

(٣٥) **التيار الإصلاحي:** ترأس هذا التيار وزير الحرب المهدي المنبهي، وتمثلت رؤيته بضرورة توجه المغرب صوب بريطانيا، لتقف بوجه الأطماع الإسبانية، والفرنسية، وعلى هذا الأساس شجع القيام بالإصلاحات بحضور بريطاني فعال، وتمكن من استبدال أتباعه بالوزراء المحافظين. المصدر نفسه، ص ١٠٧، ١٠٤؛ الصديق الروندة، المهدي المنبهي الوزير الشاهد على بداية الأزمة المغربية من ١٩٠٠ الى ١٩٠٣، (الرباط، ٢٠٠٦)، ص ٢١-٢٢.

(٣٦) **الترتيب**: ضريبة دخل سنها السلطان الحسن الأول عام ١٨٨١، وألغى الضرائب الدينية أي الزكاة والعشور، على المغاربة، وسن ضرائب جديدة على الرعايا الأجانب في محاولة منه لمنع تنصل الرعايا من دفع الضريبة، وشمل القانون سبعة وعشرون بنداً وملحقاً تكميلياً، لكن السلطان لم يتمكن من تنفيذه في خلال الثلاث سنوات من إصداره، وحاول فرضه بالإكراه، ولم يعترف المغاربة بشرعية القانون. الطيب البياض، المصدر السابق، ص ص ١٠-١١.

(٣٧) واجه الترتيب الذي أصدره السلطان عبد العزيز معارضة شديدة من زعماء الطرق الصوفية، علماء الدين، والقادة، لأنهم شعروا بخطورة التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للمغرب، ولاسيّما انهم حُرموا من الإعفاء الضريبي، لذا حرضوا الناس على عدم دفعها، بحجة عدم شرعيتها، فوقعت تمردات داخلية عدّة، ساندهم الفرنسيون بعد أن شملهم الإصلاح الضريبي. إبراهيم خلف العبيدي، المصدر السابق، ص ص ٧٣-٧٦.

Eugene N. Anderson, OP. Cit., P.4.

(٣٨) **تيوفل ديلكاسيه Theophile Delcasse**: سياسي ورجل دولة فرنسي، ولد في باميه بفرنسا عام ١٨٥٢، تدرج في مناصب سياسية عدّة، ومنها نائب سكرتير المستعمرات عام ١٨٩٣، ثم وزير المستعمرات في العام التالي، وعمل على تطوير المشروع الاستعماري الفرنسي، كما أولى اهتماماً خاصاً بالبحرية الفرنسية، ومنافسة الأسطول البريطاني، وفي عام ١٨٩٨ تسنم منصب وزير الخارجية، وكان معروفاً بميله نحو روسيا وعدائه لألمانيا، فوصفه امبراطور ألمانيا بأنه أخطر رجل في فرنسا على ألمانيا، وفي عام ١٩٠٥ أُجبر على الاستقالة بسبب الضغوط الألمانية، ثم عمل وزيراً للبحرية عام ١٩١١، وسفيراً في سانت بطرس بيرغ عام ١٩١٣، ووزيراً للخارجية عام ١٩١٤، واستقال بسبب سوء ظروفه الصحية عام ١٩١٥، توفي في مدينة نيس بفرنسا عام ١٩٢٣.

Encyclopaedia Britannica, Vol. ؛Encyclopaedia Britannica, Vol. 7, (New york, 1911), P. 953
Stuart Michael Persell, The French Colonial Lobby 1889-؛30, (New York, 1911), P. 816
(California, 1983), P. 192. 1938,

(٣٩) **ليون كاستليو León y Castillo :** دبلوماسي إسباني، ولد في غران كناريا بإسبانيا عام ١٨٤٢، عمل في المحاماة ما بين عامي (١٨٦٦- ١٨٦٧)، وفي عام ١٨٦٨، انضم إلى الحزب الليبرالي حديث التأسيس، الذي تزامن مع ثورة السنوات الست (١٨٦٨- ١٨٧٤)، وأصبح سفيرا لبلاده في باريس لأربع مرات (١٨٨٧-١٨٩٠)؛ (١٨٩٢-١٨٩٥)؛ (١٨٩٧- ١٩١٠)؛ (١٩١٥-١٩١٨)، شارك في مؤتمر الجزيرة الخضراء عام ١٩٠٦، كما كان له دور مهم في مفاوضات عامي (١٩٠٠ و ١٩١٢) مع فرنسا بشأن ترسيم الحدود الاستعمارية بالمغرب، وغرب أفريقيا، عمل بصبر للتقريب الإسباني- الفرنسي، فقدم مقترحات لسياسة دولية نشطة، لتعويض الانحدار الإسباني في أوربا،

وفقدانها لمستعمراتها، فركز على مسألتين: الأولى (التحالفات الدولية، والحفاظ على المستعمرات في ظل قوة متدهورة)، ومُنح من الوصية على العرش لقب مركيز ديل موني Marqués del Muni تكريماً لجهوده في مفاوضات اتفاقية عام ١٩٠٠، توفي في باريس عام ١٩١٨. طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص ١٥٢؛ Óscar Javier Sánchez Sanz, OP. ؛Víctor Morales Lezcano, La Embajada de ... OP. Cit., PP.77-85 Cit., PP. 398-9.

(٤٠) بعد الخسارة المغربية بمعركة إيسلي، نظمت معاهدة **"للا مغنية"** عام ١٨٤٥ العلاقات الفرنسية- المغربية، ونصت في مادتها السادسة عدم جدوى تحديد الحدود الجنوبية الصحراوية، وقد استغلت فرنسا ذلك للتوسع حول الواحات الصحراوية ومنها توات؛ لأن المعاهدة جعلتها مستقلة عن المغرب، وبالرغم من مطالبة السلطان مولاي الحسن بتحديد الحدود من الحكومة الفرنسية، إلا أن الحكومة الفرنسية اختلقت الحجج للتملص، إذ كانت سياستها الاستعمارية تعتمد أسلوب قضم الأطراف بغية التوسع، ووجهت فرنسا أنظارها نحو توات مستفيدة من الاتفاق البريطاني- الفرنسي في الخامس من آب ١٨٩٠، والذي أطلق يد بريطانيا في زنجبار، وممباسا، مقابل إطلاق يد فرنسا في مدغشقر، والأراضي الممتدة من نهر النيجر حتى بحيرة تشاد، والصحراء جنوب الجزائر- شنقيط وتندوف- ثم بدأت حملاتها في عام ١٨٩٩، لاحتلال واحة توات، التي شكلت حلقة وصل مهمة بين ممتلكاتها في الجزائر ومستعمراتها الأفريقية، إذ تهدف إلى جعلها على وفق ما صرح به وزير الخارجية الفرنسي Robert Schuman قائلاً: **"مركزٌ أماميٌ حيثُ يصبح من السهل جداً التغلغل بصورة سلمية أقل أو أكثر في المغرب"**. محمد خير فارس، المصدر السابق، ص٦٨ ،٧٨، ٨١؛ إبراهيم حسن شحاته، نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت حكم الحماية، (الإسكندرية، ١٩٨٢)، ص ٤٧؛ إبراهيم حركات، المصدر السابق، ص٢٦٦؛ ب. ج. روجرز، تاريخ العلاقات الإنجليزية – المغربية حتى عام ١٩٠٠، ترجمة يونان لبيب رزق، (الدار البيضاء، ١٩٨١)، ص ٢٨٥؛ محفوظ رموم، توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية والأجنبية، الحوار الفكري، عدد ١٢، (ادرار، ٢٠١٦)، ص١١٠.

(٤١) طلب با أحمد في ١٧ تشرين الأول عام ١٩٠٠ من سالزبوري **"توضيح الحدود بين الجزائر والمغرب، كما أبدى تخوفه من نوايا التقدم الفرنسي في توات". بسبب مخاوف با أحمد من الاطماع الفرنسية.**

Monson to Salisbury, Secret, Paris, 17 October 1900, British Documents on the Origions of the War 1898 – 1914, edited by G. P. Gooch and H. Temperley, Vol. II, The Anglo-Japanese Alliance and the Franco- British Entente, (London, 1927), Doc. No. 313, P. 259؛ (B.D.) وسنرمز

June 1900, Die Grosse Politik der Europäischen Kabi nette Bulow to Tschirschky, 5 1871-1914, XVII, ff. 318, Doc. No. 5167, Quoted in Eugene N. Anderson, OP. Cit., P. 11.

(٤٢) Francisco Manuel Pastor Garrigues, Lost in colonialism …OP. Cit., PP. 196, 186.

(٤٣) Ibid, P. 180.

(٤٤) Francisco Manuel Pastor Garrigues, Las veleidades saharianas del gobierno Silvela 1900, Mélanges de la Casa de Velázquez, No. 41, (Madrid, 2011), P. 214.

(٤٥) **إميليو دي اوجيدا Emilio de Ojed**: دبلوماسي، ورجل دولة إسباني ومحامي، ولد عام ١٨٤٥ في سرقسطة، انحدر من عائلة لها باع طويل في السياسة، وبدأ العمل في السلك الدبلوماسي عام ١٨٦٣ كملحق للسفير في الصين، الكرسي الرسولي، وروما، وبعدها تدرج في السلك الدبلوماسي بدول عدّة، منها روما، واليابان، وواشنطن، ثم عمل وزيراً مفوضاً في طنجة (آب١٨٩٤- حزيران ١٩٠٢)، وبعدها تولى مهام وكيل وزير الخارجية عام (١٩٠٥-١٩٠٦)،

وعند وفاة المودوفار تولى مهامهُ مؤقتاً لشهر حزيران عام ١٩٠٦، وآخرها توج مسيرته المهنية بالعمل سفيرا الكرسي الرسولي(١٩٠٦- ١٩١١)، وتوفي في مدينة بيارتيز في فرنسا عام ١٩١١.

Óscar Javier Sánchez Sanz, OP. Cit., PP.419-420.

(٤٦) Marcelo Azcárraga to Francisco Silvela, Despacho del general Marcelo Azcárraga, 20 Febrero 1900, Archivo General de la Administración, África, Sección Histórica (Marruecos), Caja 62 /Ex. 1, Quoted in Francisco Manuel Pastor Garrigues, España y la apertura ...OP. Cit., P. 816؛ Ojeda to Silvela, Embajada extraordinaria a Marrakesh, 3 Archivo General de la Administración, África, Sección Histórica (Marruecos), Mayo 1900, Caja 62 /Ex. 1, Doc. No. 3, Quoted in Ibid, P. 821.

(٤٧) شن السلطان عبد العزيز حملة لمعاقبة القراصنة، لكن في الحقيقة هي حملة لتقويض الوجود الإسباني والفرنسي في المغرب، بخطوة ذكية منه، عندما أدرك ضعف الإمكانات العسكرية الإسبانية، أثر خسارتهم عام ١٨٩٨، ومقاومة القبائل للتسلل الفرنسي في مناطق الريف المغربي.

Ojeda to Silvela, 15 Enero 1900, Archivo General de la Administración, África, Sección Histórica (Marruecos), Caja 62 /Ex. 1, Doc. No. 5, Quoted in Ibid, P. 800؛ Francisco Manuel Pastor Garrigues, El non-nato Tratado Hispano-Francés de 1902 de Reparto de Marruecos en el contexto de las pugnas imperialistas de la Época, Cuadernos de historia de las relaciones internacionales, (Madrid, 2008), P. 12.

(٤٨) Óscar Javier Sánchez Sanz, OP. Cit., PP.419-420.

(٤٩) Conde de Chacón to Francisco Silvela, 19 Abril 1900, Archivo General de la Administración, África, Sección Histórica (Marruecos), Caja 62 /Ex. 1, Doc. No. 52, Quoted in Francisco Manuel Pastor Garrigues, España y la apertura ...OP. Cit., P. 815.

(٥٠) J.L. de Agüera to Francisco Silvela, 18 Abril 1900, Archivo General de la Administración, África, Sección Histórica (Marruecos), Caja 62 /Ex. 1, Doc. No. 27, Quoted in Ibid, P. 815.

(٥١) Felipe Méndez de Vigo to Francisco Silvela, 18 Abril 1900, Archivo General de la Administración, África, Sección Histórica (Marruecos), Caja 62 /Ex. 1, Doc. No. 49, Quoted in Ibid, P. 815.

(٥٢) Vistahermosa to Francisco Silvela, 21 Abril 1900, Archivo General de la Administración, África, Sección Histórica (Marruecos), Caja 62 /Ex. 1, Doc. No. 40, Quoted in Ibid, P. 815.

(٥٣) Ministerio de Estado to Encargado de؛ Cristóbal Robles Muñoz, OP. Cit, PP. 126-127 Negocios de España en Tánger, Real Orden, 18 Mayo 1900, Archivo General de la Administración, África, Sección Histórica (Marruecos), Caja 62 /Ex. 1, Quoted in Óscar Javier Sánchez Sanz, OP. Cit., P. 823.

(٥٤) Cristóbal Robles Muñoz, OP. Cit., PP. 121, 126.

(٥٥) **آرثر نيكولسن Sir Arthur Nicolson**: دبلوماسي، وسياسي بريطاني، ولد في لندن عام ١٨٤٩، عمل في وزارة الخارجية (١٨٧٠- ١٨٧٤)، ثم التحق بالسلك الدبلوماسي، وعمل في عدّة وظائف، منها سكرتير للسفارة في برلين،

وبكين، واسطنبول، ثم وزيراً مفوضاً في طنجة (١٨٩٥- ١٩٠٤)، ثم سفيراً في مدريد (١٩٠٥- ١٩٠٦)، وترأس الوفد البريطاني في مؤتمر الجزيرة الخضراء (كانون الثاني- نيسان ١٩٠٦)، وسفيراً في سانت بطرس بيرغ (١٩٠٦- ١٩١٠)، ثم الوكيل الدائم للشؤون الخارجية (١٩١٠- ١٩١٦)، وتوفي في لندن في عام ١٩٢٨.

Nicolson Harold, Sir Arthur Nicolson, Bart. First Lord Carnock, (London, 1930), PP. 6, 153؛ Víctor Morales Lezcano, León y Castillo...OP.Cit., P. 29.

(٥٦) Cristóbal Robles Muñoz, OP. Cit., PP. 121, 126.

(٥٧) Carlos Ruiz Miguel, El ؛Víctor Morales Lezcano, León y Castillo...OP.Cit., P. 99 Análisis crítico de la política Sahara Occidental y España Historia, Política y Derecho exterior Española, (Madrid, 1995), PP. 31, 36, 38.

(٥٨) Juan BTA. Vilar, El convenio Franco-Español de 1900, los orígenes de la República de Guinea ecuatorials, Vol. 29, No. 3-4, (Universidad de Murcia, 1970-1971). P. 55.

(٥٩) Gonzalo de Reparaz, Política de España en Africa, (Barcelona, 1907), P. 340.

(٦٠) **شبه جزيرة الرأس الأبيض:** وتسمى أيضاً نواذيبو، تطل على المحيط الأطلسي على خط طول ١٥ ° غرباً، وتمثل الحدود الجنوبية لوادي الذهب، ويطلق عليه الإسبان cabo Blanco، تقع في موريتانيا حالياً. محمد خميس الزوكه، جغرافية العالم العربي، (الإسكندرية، ٢٠٠٠)، ص ١٩، ٦٦؛ غوميس أيانيس دي آزورارا، تاريخ اكتشاف وغزو غينيا، تر أحمد ولد المصطف، (موريتانيا، ٢٠١٥)، ص٦.

(٦١) **خليج ليفرييه Lévrier:** خليج شبه جزيرة الرأس الأبيض، يقع بموريتانيا حالياً، ويعد من أكبر الموانئ الطبيعية المهمة، وهو أحد المداخل الثلاثة المهمة لشبه الجزيرة.

The Historicl setion of the Foreign Office, ؛Cit., P. 344 Gonzalo de Reparaz, OP. Mauretania, (London, 1920), P. 5.

(٦٢) **إجيل Ijil:** وتسمى أيضاً إيجل وكدية الجل، هي منطقة جبلية جرداء يصل ارتفاعها ٩٥٠م فوق سطح البحر، غنية بالحديد، تقع في ولاية تيرس زمور شمال موريتانيا حالياً. طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص ١٣٠؛ Martínez Milán, España en el Sáhara Occidental de una colonización tardía a una descolonización inconclusa 1885-1975, Anales de Historia Contemporánea, No. 23, (Universidad de Murcia, 2007), 368؛ The Historicl setion of the Foreign office, Mauretania...OP. Cit., PP. 1-2.

(٦٣) Gonzalo de Reparaz, OP.Cit., P. 342.

(٦٤) Jesus Mª Martínez ؛España y Francia...OP.Cit., P. 122 Jesús Maria Martínez Milán, Milán, España en el Sáhara... OP.Cit., P., 368.

(٦٥) **نهر موني Muni:** نهر قصير يقع في غينيا الإسبانية – غينيا الاستوائية حالياً- ويشكل جزءاً من حدود الجابون، ويسمى سابقاً ريو موني، ويعد الطريق الرئيس الوحيد لاختراق المناطق الداخلية، وحرمان إسبانيا منهُ يعادل حرمانها من التجارة، ونظراً لأهميته التجارية والسياسية، صمّم الطرفان على حيازتهِ.

The Historicl setion of the Foreign office, Spanish Guinea, H.M.stationery office, (London, 1920), P.2؛ Gonzalo de Reparaz, OP. Cit., P. 341؛ María del Carmen González Velilla, Orientación general de la política exterior Española entre 1898 y 1907 los compromisos internacionales, tesis doctoral, Departamento de Historia Contemporánea, Universidad Complutense, 1998, P. 99.

(٦٦) Gonzalo de Reparaz, OP.Cit., P. 341.

(٦٧) أعرب ليون كاستليو عن ذلك قائلاً **"أن حكومتنا تراعي التطلعات الفرنسية، لتوحيد الكونغو الفرنسية- الكونغو الأوسط حالياً- وأوبانغي – جمهورية أفريقيا الوسطى حالياً- وحيازتكم إحدى ضفاف نهر موني، أهم طريق الاختراق، وليس الوحيد... إن من الأفضل التقليل من الإصرار، وصولاً إلى حل يرضي الطرفين".**

Óscar Javier Sánchez Sanz, OP.Cit., P. 267. ؛ Quoted in Juan BTA. Vilar, OP.Cit.,P. 50

(٦٨) وصلت البعثة السياسية الإسبانية إلى إجيل عام ١٨٨٦ وقع D. Felipe Rizzo y Ramirez (١٨٢٣-١٩٠٨) القنصل الإسباني السابق في أفريقيا، وثيقة حماية مع أمير أدرار- تمار، في الثاني عشر من تموز ١٨٨٦، وبذلك أصبحت القبائل والأراضي من الرأس الأبيض وخط الطول الذي يعبر الحدود الغربية لمنطقة أدرار - تمار، وتحديداً المسطحات الملحية في أدرار - تمار، تحت الحماية الإسبانية، ولكونها مستبعدة عن التدافع الأوربي على أفريقيا، فإن الكورتيس (البرلمان الإسباني) برئاسة ساكاستا لم يصادق عليها، مما أثار نقاشاً عميقاً في الكورتيس بين النواب المحافظين وساكاستا، ثم لم يبلغوا الدول الموقعة على ميثاق مؤتمر برلين، وبعد الاحتلال الفرنسي لخليج ليفرييه ي عام ١٨٨٥، انعكس عدم مصادقة الكورتيس سلباً على مهمة الممثلين الإسبان في لجنة ترسيم الحدود عام ١٨٨٦، ثم أكملت فرنسا احتلال السنغال شمال شبه الجزيرة الرأس الأبيض وتمبكتو عام ١٨٩٣، وفي طريقها إلى احتلال إدرار- تمار. طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص ١٣٠- ١٣١؛

Martínez Milán, España en el Sáhara... OP. Cit., P., 368؛ The Historicl setion of the Foreign office, Mauretania...OP. Cit., PP. 1-2؛ Jesus Mª Martínez Milán, España en el España y Francia...OP. Cit., Jesús Maria Martínez Milán,؛Sáhara... OP.Cit., P., 369 P.124.

(٦٩) Gonzalo de Reparaz, OP.Cit., P. 345.

(٧٠) Jesus Mª Martínez Milán, España en el Sáhara... ؛Juan BTA. Vilar, OP.Cit., P. 72 OP. Cit., P., 368.

(٧١) **إيميل لوبيه Emile Loubet**: سياسي ورجل دولة فرنسي، ولد في مارسان بفرنسا عام ١٨٣٨، درس القانون وحصل على درجة الدكتوراه فيه، وعُرف بحماسه للتوسع الاستعماري الفرنسي، وتدرج في عدَّة مناصب سياسية ، منها عضو مجلس نواب عام ١٨٧٦، ووزير الأشغال العامة، ووزير الداخلية، ورئيس الوزراء (٢٧ شباط ١٨٩٢- ٦ كانون الأول ١٨٩٢)، ورئيس مجلس الشيوخ ورئيس الجمهورية عام ١٨٩٩حتى تقاعد عام ١٩٠٦، توفي في مدينة مونتيليمار بفرنسا عام ١٩٢٩.

James F. Brennan, The reflection ؛Encyclopaedia Britannica, Vol. 17, (New York, 1911), P. 26 of the Dreyfus affair in the European press 1897-1899, (New York, 1998), P. 162.

(٧٢) **الحزب الاستعماري الفرنسي Le parti colonial français**: نظم المصالح الاستعمارية الفرنسية، ظهرت بوادر تشكيله مابين ١٨٨٠-١٨٩٠ في فرنسا، وكان مجال عمله في وزارة المستعمرات الفرنسية، سواء في الإدارة المركزية، او إدارة المستعمرات، وحظي باهتمام وزارة الخارجية، الحربية، البحرية... الخ، تنامى بشكل جلي عام ١٨٩٢، بعد ان نظم يوجين أيتيان Eugène Étienne وكيل وزارة الخارجية للمستعمرات (١٨٨٩- ١٨٩٢) **"مجموعة الشؤون الاستعمارية والخارجية لمجلس النواب"**، وبعد توسع الحزب اصبح وهو يمثل تيار الرأي العام الفرنسي، وأغلبهم من اليمينيين والاقتصاديين.

Henri Brunschwig, Le parti colonial français, Revue ؛Juan BTA. Vilar, OP.Cit., P. 72 Marc Lagana, Le ؛française d'histoire d'outre-mer, No. 162, (Paris ,1959), PP. 49-50 parti colonial français Éléments d'histoire, (Canada, 1990), PP. 7, 18.

(٧٣) Jesús Maria Martínez Milán, España y Francia...OP. Cit., P. 123.

(٧٤) لم تكن إسبانيا تنوي التنازل عن أي من الأراضي التي احتلتها مسبقاً، لكن حيازة إحدى ضفاف نهر موني كان أهم، فأجبروا ديلكاسيه على ذلك. للمزيد من التفاصيل انظر:

Gonzalo de Reparaz, OP.Cit., P. 344.

(٧٥) بعد عقدها الاتفاقية مع بريطانيا عام ١٨٩٠ الآنفة الذكر، واحتلالها أراضي جنوب غرب أفريقيا، فضلاً عن انشغال بريطانيا بحرب البوير، وضعف العلاقة الإيطالية بالحلف الثلاثي سعت لإبرام اتفاقيات مع الدول ذات المصالح المشتركة في أفريقيا. طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص ١٣١؛

Jesús Maria Martínez؛Jesus Mª Martínez Milán, España en el Sáhara... OP. Cit., P., 368

Milán, España y Francia...OP. Cit., P. 123.

(٧٦) Gonzalo de Reparaz, OP.Cit., P. 345.

(٧٧) Nicolson to Salisbury, Very Confidential, Tangier, 21 June 1900, C.M.N.W.A., Vol. 32, Doc. No. 150, P. 80.

(٧٨) Francisco Manuel Pastor Garrigues, Las veleidades... OP. Cit., P. 215.

(٧٩) Mandas to Ministro de Estado, Despacho reservado No. 103, 20 Junio 1900, Asuntos Exteriores, Embajada de España en Londres, caja 7.016, leg. 181 bis, Quoted Ibid, P. 219.

(٨٠) Francisco Manuel Pastor Garrigues, Las veleidades... OP. Cit., P. 217.

(٨١) Carlos Ruiz Miguel, OP. Cit., P. 37.

(٨٢) Juan BTA. Vilar, OP.Cit., P. 54.

(٨٣) **الكورتيس Cortes:** تسمية تطلق على البرلمان الإسباني، والذي ولد مع ميثاق ليون النموذجي Decreta de León عام ١٠٢٠م، وهو بمثابة دستور للنظام الملكي الوراثي، وتطور تدريجياً، ليأخذ شكل كورتيس مملكة قشتالة وليون في شبه الجزيرة الإيبيرية عام ١١٨٨، في عهد الملك الفونسو التاسع Alfonso IX (١١٨٨-١٢٣٠)، وهي بداية التمثيلات الإسبانية، ويتكون من مجلس الشيوخ، وعدد أعضائه مئتان وستة وأربعون عضواً، ومجلس النواب وعدد أعضائه ثلاثمائة وخمسون عضواً، مثل كورتيس، حتى عد مرسوم ليون أقدم شهادة وثائقية للنظام البرلماني الأوربي.

Joseph F. O'Callaghan, The Cortes of Castile-Leon 1188-1350, (Pennsylvania, 1989) ؛ Encyclopaedia Britannica, Vol. 25, (New york, 1911), P.545, 547.

https://en.unesco.org/memoryoftheworld/registry/251

(٨٤) Juan BTA. Vilar, OP.Cit., P. 217.

(٨٥) Aurelio Martín ؛Jesus Mª Martínez Milán, España en el Sáhara... OP.Cit., P., 369

Alonso, Diez y Seis Años de Regencia María Cristina de Hapsburgo-Lorena 1885-1902, (Barcelona, 1914), P. 482؛

طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص١٥٢.

(٨٦) تقع المسطحات الملحية في ايجل على بعد ٢٠ كم شرقاً من هذا الخط الحدودي، لذا فهي من حصة فرنسا. طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص١٥٣.

(٨٧) المصدر نفسه، ص١٥٣؛

H. Drummond Wolff to Salisbury, Madrid, 22 July 1900, C.M.N.W.A., Vol. 32, Doc. No. 171, PP. 95- 96-97.

(٨٨) سعت فرنسا إلى امتلاك أَدرار - تمار باي ثمن لكونها منطقة ذات أهمية تجارية محتملة فضلاً عن المسطحات الملحية في إيجل؛ ليتمكنوا من تنفيذ خططهم بتوحيد ممتلكاتهم في أفريقيا، أي بين أفريقيا (الفرنسية سابقاً) الغربية حالياً، وجنوب الجزائر، وتمتد من بنزرت في تونس على البحر المتوسط حتى ساحل العاج المطل على خليج غينيا على المحيط الأطلسي. الفونصو ذي لاسيرنا، جنوبي طريفة المغرب وإسبانيا سوء تفاهم تاريخي، تر إسماعيل العثماني، (الرباط، ٢٠٠٨)، ص ٢٤٩؛

Carlos Ruiz Miguel, ؛Jesus Mª Martínez Milán, España en el Sáhara... OP.Cit., P., 368
Aurelio Martín Alonso, Diez y ؛ Gonzalo de Reparaz, OP.Cit., P. 345؛OP. Cit., P. 37
Seis Años de Regencia María Cristina de Hapsburgo-Lorena 1885-1902, (Barcelona, 1914), P. 482.

(٨٩) حصلت إسبانيا على ٢٨ ألف كم٢ من غينيا، وبمجموع ما حصلت عليه من الأراضي المغربية، تكون قد حصلت على خمسي مساحة إسبانيا. للمزيد أنظر: طوماس غارثيا فيغيراس، المصدر السابق، ص ٢٠؛

H. Drummond Wolff to Salisbury, Madrid, 1 July 1900, C.M.N.W.A., Vol. 32., Doc.
Aurelio Martín Alonso, OP. Cit., PP. 482-؛ Juan BTA. Vilar, OP. Cit., 56؛No.154, P. 85
483.

(٩٠) نافست التجارة الفرنسية نظيرتها الإسبانية في وادي الذهب، مما عرض التجارة الإسبانية هناك للفشل. للمزيد من التفاصيل انظر: إبراهيم حركات، المصدر السابق، ص ٣٠٨؛

Informe Kinet, (súbdito belga) a bordo del S/S Jelba, La península de Río de Oro, 30 de noviembre, Archivo General de la Administración Pública, Sección África, Marruecos, caja 340, exp. No. 2, Quoted in: Jesus Mª Martínez Milán, España en el Sáhara... OP.Cit., P. 367.

(٩١) على الرغم من جهل الأوربيين بثرواتها، وعدّها منطقة قليلة الأهمية، فإنها قررت إتباع سياسة الاختراق السلمي، وروّجت لإنشاء مصانع تجارية شمال الإقليم، وإنشاء مزارع، وعينت Francisco Bens حاكماً سياسياً، وعسكرياً لوادي الذهب، واستبدل حامية المشاة البحرية بوحدات جيش من الكناري، وبالرغم من ضآلة الميزانية المخصصة لها، فإنهم قاموا ببعثات تجارية للداخل وأوصى بينس بضرورة إنشاء مصانع تجارية ومصائد أسماك بين بوجودور وافني، واستمرت إسبانيا بسياسة تسمى Pilón de azúca - أي سياسة برج السكر، اتبعتها منذ عام ١٨٩٤ وتتلخص بشراء ذمم بعض السكان بتقديم الهدايا، والمبالغ النقدية، من دون الدخول للداخل- وإقامة علاقات تجارية مع القبائل.

Francisco Manuel ؛Jesus Mª Martínez Milán, España en el Sáhara... OP. Cit., P., 369
Pastor Garrigues, España y la apertura ...OP. Cit., P. 804.

(٩٢) D. S C. C. D., No. 118, Sesion del Viernes, 14 DE Febrero 1902, P. 3417.

(٩٣) كتب المستوطن الفرنسي مارتي Paul Marty **"أن تاريخ وادي الذهب سياسي كلياً... دبلوماسي تماماً، ليس سوى صفقات عقدتها إسبانيا مع فرنسا بشأن المنطقة... وقد بدأ بالتحديد في ١٩٠٠، واستمر إلى ١٩٠٤، وانتهى في ١٩١٢"**. نقلاً عن إبراهيم حركات، المصدر السابق، ص ٣١٠.

(٩٤) El Liberal, 3 Julio 1900. Quoted in H. Drummond Wolff to Salisbury, Madrid, 5 July 1900, Confidential Print Morocco and North West Africa 1839-1957, edited by Foreign Office, Vol. 32, Doc. No. 162, P. 90؛(C.M.N.W.A.) وسنرمز Aurelio Martín Alonso, OP. Cit., P. 483.

(٩٥) Cristóbal Robles ؛Jesus Mª Martínez Milán, España en el Sáhara... OP.Cit., P.369 Muñoz, OP.Cit., P. 136.

(٩٦) La Epoca, 1 Julio 1900, Quoted in Juan BTA. Vilar, OP. Cit., P.73.

(٩٧) La Epoca, 3 Julio 1900, Quoted in Ibid, P.73.

(٩٨) Víctor Morales Lezcano, León y Castillo OP. Cit., P. 29.

(٩٩) Francisco Manuel Pastor Garrigues, Las veleidades... OP. Cit., P. 221.

(١٠٠) H. Drummond Wolff to Salisbury, Madrid, 5 July 1900, C.M.N.W.A., Vol. 32, Doc. No. 162, P.89.

(١٠١) Durand to Lansdowne, Madrid, 31 March 1901, C.M.N.W.A., Vol. 32, Doc. No. 65, P. 49.